

ثمرات طعننا الظل

مقال لمجلة نينار

د. ريمه عبد الإله الخاني

نسجل حروفنا عبر أثير الشبكة، ونستمتع بما سال به القلم مهما كان بسيطاً، أو مهما كان جارحاً وقد نسعد بالتصفيق و بعض مديح، ويطويها الزمن، فننسى ماكتبنا، ويخرجها لنا غوغل أو غيرنا فتدهشنا وندهش بها، ولانصدق أننا كتبناها هذا فعلاً، فيتوقف غوغل عند أخطائنا، ويظهرها كعين الشمس الحارقة، وقد يتوقف غيرنا فيطعننا بكلماته الناقدة...كيف فمرنا يوماً أن تلك المواقع تنسى؟ و كل شيء مسجل عند الرب، قبل أن تسجلها تلك المواقع؟، فما هي سوى سجل صغير من سجل أكبر. نحن في الحقيقة، نكتب عبر مواقع التواصل الاجتماعي وغيره، بلا حرص ولامراجعة غالباً، و دون تدقيق بمواد الإرسال، ولاننتذكر أنها ستعود إلينا يوماً ما، كتابات في لحظة شعورية خاصة، فدهش لما كتبنا، فنراها إما:

- 1- إبداع نسيناه قديماً.
- 2- أخطاء كتابية تجعلنا نتحرك بسرعة لتصويبه ، وقد لانستطيع .
- 3- أموراً خاصة ماكان لنا أن ننشرها.
- 4- نصوصاً إبداعية موضوعها لم يعد يناسب مركزنا الاجتماعي الحالي.
- 5- فرصة لتطوير ماكتبنا، و لما وصلنا إليه .

يمكننا تشبيهها إلى حد ما ،بهؤلاء الذين لايعيشون اللحظة التي هم فيها زمانياً ومكانياً، فيغرقون بكم هائل من التصوير التقني عبر الهاتف الذكي وخلافه، وتضيع اللحظات في حمى التسجيل وبحركات سريعة، وعندما تنتهي تلك اللحظات الحلوة، نعيشها بائتة في صور. فلم العجلة في كل حرف وحركة وتصرف؟.

مايحصل هناك في مواقع التواصل تماماً مثل من يلتهم كما كبيراً من شطائر المعرفة السريعة سواء الصحية منها أو غير الصحية، الموثوق منها أو غير ذلك، بدافع الفضول، بلا تدقيق للمدخلات والمخرجات لذا من الطبيعي أن نقع في الزلات التي لاعودة لتعديلها غالباً. إن ماينطبق على الحياة الواقعية ينطبق على هذا العالم المتخفي، الذي يسعدنا أن نختبي وراءه كأنه لن يصل إلينا أحد، وهل تلك المحطات إلا رصد لفكرنا وكل مايمت لنا بصلة؟.

خلاصة القول:

إن هناك في دماغ الإنسان رغبة، للتنظيم والتروي، لكن هناك ما يمنعنا من ذلك ويسبب لنا التشتت في تفكيرنا، الذي تتسبب به تلك الأجهزة الإلكترونية ، التي استهلكنا وقتنا وطاقتنا، ودفعنا لغير

الهدف المطلوب،حتى وعدم تفكرينا بشيء واحد على الأقل، تنقسم هذه القضية إلى ثلاثة أقسام:

فالمنتظم بدقة:

يستمتع بالتنظيم الدقيق والروتيني، وهذا ما وجدناه في حياة الفيلسوف إيمانويل كانط، الذي قضى أربعين سنة من عمره منظما لدقائق حياته، كما عرضها لنا مارك مانسون في كتابه خراب كتاب عن الأمل¹، وما وجدت كثير أمل مشجع في الكتاب على دقة تحليله الملفت، كنت جربت هذا بطريقتي منذ عام 1997 وحتى 2007، حيث خصصت دفترًا أدون في جدول مخصص تفاصيل الساعات الأربع والعشرون من يومي، لكنني بعد أن ابتعدت تلقائيا عن فعل هذا، عدت فغدا يومي منظم جزئيا² لكنه مجدٍ ومثمر، فالدماغ رغم استطاعته على التنظيم، ليس بألة حديدية، هو جزء بشري بحت.

وهذا مانطلق عليه التنظيم الجزئي، وهو هنا في الدرجة الثانية من التنظيم، وهو ممن يضعون قضية التنظيم والترتيب في المرتبة الثانية، لذا يضيعون وقتا جما ويهدرون طاقات كثيرة، في البحث عما ضاع منهم. لذا لا بد من تطوير الدماغ على التنظيم بقدر الإمكان، حتى إذا ماتلفت الأمر، غدا التنظيم ترويضًا مثبتًا في أعماق الذاكرة، فتمودج كانط استثنائي بامتياز.

النموذج الثالث هو الفوضوي المستمتع بفوضويته، سواء رغب بالتنظيم أو لا، فهو لم يألو جهدا لتفعيل ذلك برأيه لكن التنظيم في دماغه حقيقة، يعتبر مضيعة للوقت في الدرجة الأولى، فلدريه أولويات تسبق ذلك، إما للمتعة أو للإنجاز، فهو يشعر أن ترتيبه سوف يفقده متعة وجود مايفضل حوله، فلديه تراكمات كثيرة، تستعصي على الفهم، لذا فالمحاولات تفضي لتنظيم بسيط غير ملموس، لكن العكس غير صحيح. أي أن من يهوى التنظيم من الصعب ترويضه على الفوضى إلا قليلا.

فسواء كان أصل هذا يهجع في العقل الواعي، وهدفه في تفعيل العقل الباطن، لجعل سلوكنا أمرا معتادا كما شرحها كتاب قصة الدماغ لديفيد انغلمان، أو أن الدماغ الشعوري هو من أمر والدماغ العقلي وافق وطبق، كما قدم لذلك مارك في كتابه خراب في قسمه الأول، إن دقة السلوك، من أصعب مايمكن السيطرة عليه بشريا لنرجسية الإنسان وتقلبه في معظم الأحيان، فالحياة رحي تطحننا وتجعلنا نجهد لنكون عند حسن ظننا بأنفسنا أولا، لكن الإيمان بالهدف من كل سلوك في الحياة، والإصرار في سبيل إعادة المحاولة دوريا و مراقبة النفس، وتقويمها حسب الرؤيا الفكرية والمعتقد الفكري، الذي يراه صاحب الأمر، كفيل، بتأطير فكرنا عبر الأثير الشابكي، وإعادة النظر فيه، وجعله أفضل مما نتخيل. وأفضل إنتاجا وأقوى أثرا. بل يجب.

¹ الصفحة 197 حيث كان جيران كانط يضبطون ساعتهم حين خروجه، فقد كان ترتيب يومه: وهو مثال الكفاءة والفعالية المشجع على العلم وصون كرامة الإنسان، رجلا ميكانيكيا، يستيقظ في الخامسة صباحا من كل يوم، يكتب مدة ثلاث ساعات بالضبط، ثم يتناول طعام الغداء في المطعم نفسه كل يوم، وبعد الظهر، يخرج في نزهة طويلة على الأقدام عبر الحديقة نفسها، على المسار نفسه، فيخرج من بيته في توقيت واحد لا يتغير، ويعود إليه في نوفي لايتغير، ظل يفعل هذا طيلة أربعين عاما.

² لا يوجد تنظيم دقيق، فكل يوم مختلف عن غيره، ربما وجدناه بطريقة ما في الحياة اليابانية، راجع دراسة: الاستغراق الوظيفي.

لذا لن يطعننا الظل بعد الآن، ولن تعلمنا النعامة غض النظر عما يصدر منا، بل سوف يردفنا
النور بشعاع المعرفة والعطاء، لفكر يجب أن يخرج للنور المشع يوماً ما بتوازن وقناعة.
كونوا بخير.

ترجمة المؤلف:

باحثة وأديبة مؤسسة شبكة فرسان الثقافة الأدبية
العمر عبر النت 20 سنة حتى تاريخ 2017
تشارك في الأمسيات الثقافية في المراكز الثقافية، والمحاضرات الخاصة بها وفي خير المواقع
العربية، ولها نصوص ودراسات منشورة في الصحف العربية والمحلية، والمؤتمرات الدولية
الخاصة باللغة العربية.

عضو الاتحاد الدولي للغة العربية
عضو الجمعية السورية للموهبة والإبداع
خريجة جامعة حمدان الذكية للتعليم عن بعد.

الكتب:

تكتب: المقالة والقصة والشعر بأنواعه، الخاطرة، والدراسات الأدبية. تجاوزت مؤلفاتها الثلاثين مؤلفاً.

من كتبها:

إعداد

تجارب من الحياة - مقتطفات أدبيه ودينيه

قصص قصيرة

باب الخزانة - دار اكتب - مصر

مجموعة قصصيه مشتركه صادرة عن اتحاد الكتاب الفلسطينيين:

قوس قزح

مجموعه قصصيه : قلم بلون الطيف-دار الفكر

مجموعة قصصية : النوم في دوائر الفراغ/يطلب من مكتبة الفارابي /حلبوني /دمشق

مجموعة قصصية أسرار صغيرة

مجموعة قصص قصيرة: ما وراء الجدران/دار الفارابي -دمشق

مجموعة قصص قصيرة جدا /ق ق ج /نصيحة متأخرة /دار الفارابي دمشق.

شعر

ديوان شعري /جرح المحبة /دار أعراف-يطلب من مكتبة النوري بدمشق

ديوان شعري /ذكريات ممنوعة /دار اعراف /يطلب من مكتبة النوري

ديوان ملاذ الروح-دار المورد-حلبوني -دمشق

ديوان :وجدت لي الأيام. دار غانم للنشر والتوزيع-صافيتا

مقالات:

الجزء الاول من سلسلة صباح الخير/دار اعراف/يطلب من مكتبة النوري بدمشق

منتدى الخميس الجزء الثاني (من سلسلة صباح الخير)/دار الفكر

روايات

رواية /مناهل الغمام

رواية أحلام مجنحة /تطلب من الفارابي

رواية "دون كيشوت يظهر في الشرق".

رواية: هدى /دار تبوك بمراكش /المغرب

دراسات

الدين بين العالم الرقمي والواقع/يطلب من مكاتب سوريا

خصوصية الأدب لنيل الأرب-دراسة

أدب الأطفال

المجموعة الأولى الشعرية والقصصية والمسرحية للأطفال

"قطرات من ماء الزهر" المورد -حلبوني -دمشق

كتب الكترونية:

المقامة الخانية-مقامات

مجموعة قصصية-السر المفقود

تجارب من الحياة الجزء الثاني

سلسلة صباح الخير العام 4و5 و6

بانتظار الطباعة:

مصائب النقد-دراسة

وحدنا معا-مجموعة قصصية

موسوعة الحكايات(للناشئة).